مواقف ومحاذير عشية معركة الجبل

لقد انكشف في الاجتماع الذي عقد بين المقاومة والحركة الوطنية في ٢٥ ايلول المنصرم ، حين كان النقاش يدور حول ورقة عمل قدمها الاخ ابو عمار ، على انها نتيجة لاجتماعات عقدتها اطراف مثلت « المقاومة » ! والرئيس سركيس انه ليس هناك قرار سياسي فلسطيني حول المشروع المقدم وعلى ان هذا المشروع يناقش لاول مرة في هذا الاجتماع المشترك ، ويتضح من هذا المشروع المقدم انه يغطي التراجعات الفلسطينية على كافة الاصعدة . فبنوده تنص على ان « تعلن الثورة الفلسطينية عدم تدخلها في الشؤون اللبنانية كما تعلن الموافقة على الانسحاب من الجبل كخطوة اولى من عينطورة وصنين والمونتيفردي وتحل قوات الامن العربية محلها لاظهار حسن نية وهدية لسركيس بمناسبة تسلمه السلطة الشرعية » . وتضمن المشروع بندا ينص على « اعادة المهجرين الى مناطقهم باستثناء اهالي الزعتر بناء لطلب سركيس نفسه ، الذي نصح بأن لا يتواجد الفلسطينيون في المناطق المسيحية » . ويغطي المشروع هذه التراجعات ببعض البنود الشكلية الغامضة التي تتعلق بالحركة الوطنية اللبنانية كالقول بأن « يقدم سركيس تسهيلات للحركة الوطنية » و « يصدر تأكيدا بأن كل شيء قابل للتغيير » و « يتولى الحوار اللبناني اللبناني (طاولة مستديرة) » . !!

ان الذين صاغوا هذا المشروع لم يكونوا مفوضين بالتحدث بالنيابة عن الحركة الوطنية ولم يكن لديهم تفويضا بأن يحلوا « المشكلة اللبنانية الفلسطينية » بمعزل عن « الحل اللبناني - اللبناني » الذي تسعى الحركة الوطنية جهدها على ان لا يكون على حساب تضحيات جماهيرها ودماء شهدائها ، لان اي تجاهل لهذه الحقيقة يخدم بالاساس القوى التي تسعى الى طمس الدور الوطني للجماهير اللبنانية والحركة الوطنية اللبنانية وتجاهل كافة مطالبها بحيث لا تتمكن القوى الوطنية من تحقيق اي خطوة على طريق بناء لبنان الوطني التقدمي الديمقراطي ، وليس حتى للوصول الى صيغة « اللاغالب ولا مغلوب » فالواقع يبين على ان الصيغ المطروحة هي محاولة جادة لقهر الجماهير اللبنانية الوطنية والحركة الوطنية والوصول الى نتيجة على انها هي المغلوبة وان الفريق الانعزالي هو الغالب .

لقد حدد مندوب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الاجتماع الذي ناقش المشروع موقفا صريحا من كل سياسة المساومات واللقاءات رافضا هذا السلوك كذلك رفض الانسحاب من الجبل بحجة اظهار حسن النية لسركيس لما لهذه الخطوة من مخاطر على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية مبينا ان المؤامرة مستمرة وان القوى الانعزالية ما زالت مصممة على استمرار المعركة بدليل تصريح كميل شمعون الذي قال فيه انه « يعمل على تحرير لبنان وطرد الفلسطينيين والشيوعيين » .

موقف الحركة الوطنية

كان رأي الحركة الوطنية وبعض فصائل المقاومة كالتالي :

اولا : ان هذا المشروع المقترح طرح انسحاب المقاومة من الجبل ولم يشر الى انسحاب الانعزاليين من الكورة ، وضهور الشوير ، والنبعة ، وكل المناطق التي احتلوها .

ثانيا : ان المشروع المقترح لم يشر الى انسحاب القوات السورية .

ثالثا : ان المشروع تجاهل الحركة الوطنية ودورها وتمثيلها في اي حل مقترح .

لقد ساد الاجتماع جو من الرفض العام للمشروع رغم عدم اتخاذ قرار حاسم وعلني ضده وترك اخذ الاقرار لاجتماع اخر .

ان موقف حكام سوريا ، محكوم بالاهداف التي يتوخون تحقيقها من وراء ادخالهم الى الجيش الى لبنان واشراكه في المعارك الى جانب القوى الفاشية وضد الحركة الوطنية وحركة المقاومة .

اذا كنا متفقين على ان حكام سوريا ضالعين في المخطط الاميركي المعد للتسوية السياسية للقضية الفلسطينية ، فلا بد ان ننظر للتدخل السوري من جوانبه المختلفة التي يمكن تحديدها بما يلي :

١ - اضعاف الجيش السوري وتطهيره من العناصر الوطنية : لان اقدام اهل النظام السوري على الاعتراف باسرائيل امر ليس مقبولا من المؤسسة العسكرية السورية التي هي بالاساس مؤسسة وطنية ، من هنا فان حكام دمشق يضعون مسألة تطهير الجيش وتصفية الروح الوطنية فيه على رأس جدول اهتمامهم .

واذا ادركنا ان هذه العملية صعبة ومعقدة ، بحكم صعوبة اكتشاف من هي العناصر المعارضة لسياستهم ، فاننا سندرك ان زج الجيش السوري في معركة المقاومة والجماهير اللبنانية امر من شأنه ان يساعد على كشف العناصر الوطنية وبالتالي يساعد على ابعادها او تصفيتها .

٢ - ان حكام سوريا لم يدخلوا الجيش لكي يسحبوه ، بل انهم ادخلوه لكي يبقى الى ما بعد اتخاذ الخطوة الحاسمة على الصعيد السياسي ، اي التسوية مع اسرائيل ، لكي يبقى حكام دمشق بعيدين عن احتمالات معارضة الجيش ، او بعضه لهذه الخطوة . فطالما ان الجيش في لبنان فانه بعيد عن التأثير المباشر على النظام .

٣ - ان لحكام دمشق اهدافا اخرى تتعلق بتركيز نفوذهم في الساحة اللبنانية واسكات الاصوات المعارضة لسياستهم والتي ترتفع عاليا في لبنان ، لذلك فانهم يسعون لاسكات صوت الرفض الفلسطيني واللبناني المناهض لسياسة الاستسلام والتخاذل امام العدو الصهيوني - والامبريالي .

٤ - ان لم يكن هدفهم تصفية المقاومة الفلسطينية ، فانهم على الاقل يهدفون الى تحجيمها وترويضها وتحويلها الى ورقة يلعبون بها على طاولة المساومات السياسية مع اميركا واسرائيل ، صحيح ان هذا الهدف قديم وانه يلاقي معارضة من قبل المقاومة نفسها ، ولكن اختلال ميزان القوى لصالح سوريا كفيل بأن يحفزهم لمواصلة السير على الطريق ذاتها وصولا لهذا الهدف .

٥ - يهدف النظام السوري الى تكريس النفوذ السوري في السياسة اللبنانية ، ودعم دور عملائه او ما يسمى بجبهة القوى الوطنية والتقدمية .

موقف الفاشيين

ان تصريحات وتهديدات اقطاب القوى الفاشية اللبنانية تدعو الى استمرار المعركة حتى تحقيق « اهدافهم » قال بشير الجميل لدى تسريحه الدفعة الاولى من المقاتلين الذين سيكونون نواة « جيش الدفاع اللبناني » ... « وحتى ثلاثة اشهر نستطيع ان نكون قوة موحدة على ثلاثة الاف مقاتل وعندما يتم تحرير لبنان ولا يبقى فلسطيني على ارض لبنان » - وحث الشيخ بيار الرئيس سركيس على رفض الحوار « مع الفريق المخرب لانه لا يرعوي بالحوار » .... حتى لا يبقى الوضع يدور في حلقة التأزم المفتعل والتصعيد العسكري المقصود » - بالاضافة الى تصريحات شمعون الداعية الى تصفية الوجود الفلسطيني - .

ان تصريحات اقطاب القوى الفاشية هذه تؤكد ان للفاشيين اكثر من حيثية ودافع ، لالحاق الهزيمة بالمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، وهم يلتقون مع حكام سوريا في ضرب المقاومة والحركة الوطنية وان امكن تصفيتهما . وتتجلى دوافعهم بالامور التالية :

١ - انهم يتحملون مسؤولية تفجير الحرب الاهلية واستمرارها الى هذا الوقت ، الامر الذي يجعلهم متشددين باستمرار الى ضرورة تحقيق الاهداف التي من اجلها شنوا الحرب .

٢ - انهم يتحملون مسؤولية دخول القوات السورية والنتائج المترتبة على احتلالها لجزء من ارض الوطن اللبناني دون موافقة الجماهير اللبنانية ، الامر الذي يضعهم في موقف حرج اذا ما فشلوا في بلوغ اهدافهم .

٣ - انهم يسعون لان يجعلوا من جبهتهم هي المهيمنة والمتنفذة في الدولة اللبنانية ، حتى يستطيعوا المحافظة على مكاسبهم ، التي تصبح مهددة في حال فشلهم .

٤ - ان المصالح والسياسة المشتركة التي تربطهم باسرائيل واميركا تجعلهم ملزمين بتنفيذ توجيهات كل من واشنطن وتل ابيب .

موقف سركيس :

لا شك في ان سركيس واحد من رجالات الطبقة الحاكمة ، ولكن الوقوف عند هذا الحد ، قد يطمس الفارق القائم بينه وبين جبهة الكفور والسوريين ، انه يمثل تفكير يختلف بدون شك عن نمط تفكير شمعون وفرنجية وحتى الكتائب اولا وانه قد يحمل طموحا يتلخص في انه يريد ان يجعل من عهده متميزا وان جزئيا عن عهد فرنجية ثانيا ، غير ان كل ما يحلم به سركيس محكوم بموقفه الطبقي وبالتالي بعقليته اليمينية والمثالية التي تريد ان تكرر محاولة الشهابية دون اعتماد الاسلوب القادر على تحقيق الاصلاحات من جهة ، وانه محكوم ايضا بروابط دولية وعربية رجعية من جهة ثانية .

لهذه الاعتبارات كلها فان سركيس ، مهما حاول ان يشق طريقه ، فانه سوف يبقى ضمن اطار ما هو ممكن اي سوف يبقى اسير ارادة القوى المتحكمة في الموقف العسكري والسياسي .

ان سركيس اثناء لقاءات شتورا كان يطالب بالانسحاب من الجبل دون ان يلتزم بشيء او يتعهد بموقف محدد خارج ما يريده السوريون وجبهة الكفور . ورغم ان قيادة منظمة التحرير قد التزمت بايقاف اطلاق النار من جانب واحد وان ابو عمار اعلن هذا الامر برسالته الى سركيس في ٢٤ ايلول الماضي ، ورغم ان « المرابطون » اعلنوا ان قواتهم ستعمل على توفير الامن لمنطقة المتحف ، بعد ان اعلن سركيس عن عزمه على اتخاذ المنطقة مقرا ثانيا بشكل مؤقت . ورغم ان الحركة الوطنية ممثلة بمجلسها السياسي قد اعلنت عن استعدادها لمعاونة سركيس ، ولكن ماذا كان موقفه ؟

انه لم يحرك ساكنا ، ولم يتخذ اي موقف يمكن ان يميزه عن موقف الغزاة السوريين ، والفاشيين ، وكذلك لم يعلن حتى رفضه او معارضته للعمليات العسكرية في الجبل ضد المقاومة والحركة الوطنية .

رغم هذا كله ، فهل يصح ان تستمر المراهنة على سركيس ؟ وهل يصح رفض القول بأنه يحاول ان يظهر بمظهر البراءة وحامل راية السلام والوئام ، بدون تمحيص وتدقيق ؟

تطورات الاحداث والمحاذير

ان رفض الحركة الوطنية للانسحاب من الجبل ، نابع من قناعتها بأن الانسحاب سوف يسلم الجبل لقمة سائغة سهلة للغزاة والفاشيين ، الامر الذي يجعل الحركة الوطنية تسجل على نفسها موقفا متعارضا مع كل نهج وطني ، بل وتقدمي . اذ طالما ان سركيس اسير ارادة المحتلين والفاشيين ، وانه لا يستطيع ان يفعل شيئا خارج اطار هذه الارادة ، فان المباحثات والاتفاقات معه تصبح مظلة للتضليل ومخدرا يتيح للاعداء مجال ترتيب اوضاعهم بغية شن هجومهم في الوقت المناسب .

ان معارك الجبل جاءت لتؤكد خطأ سياسة المساومات التي سببت شرخا وتصدعا في صفوف المقاومة والحركة الوطنية ، قد استفاد منه الاعداء بدون شك .

ان الحركة الوطنية ، مطالبة بأن تواصل القتال دفاعا عن مبادئها والحقائق التي تؤمن بها وتلتزمها وتناضل من اجل تحقيقها ، اما خسارتها لبعض المواقع الجغرافية والعسكرية فلا تمثل هزيمة ، وانما هي تراجع يفرضه اختلال موازين القوى العسكرية لصالح العدو .

ان مواصلة القتال هو الطريق الوحيد امام الحركة الوطنية وحركة المقاومة الفلسطينية ، فهذا الطريق يعزز نفوذها بين الجماهير ويمكنها من مواصلة معركتها النضالية بأساليب واشكال مختلفة ، بدون استسلام او ركوع ، مما يجعل القوى الفاشية امام خيارين ، اما الاعتراف بالحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية كأمر واقع لا بد من التعامل معه ، واما ان يواجهوا استمرار القتال والنضال اليوم وغدا وبعد غد حيث سيجد اعداؤنا انفسهم في نهاية المطاف هم الخاسرون .